﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾ [فاطر: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التَّهيئةُ لِفِقْهِ الدَّليلِ إحسانٌ جليلٌ

لَمّا نبَّه تعالى في السِّياقِ على البعثِ وما وراءَه بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾، وقولِه: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾، وكانَ في التَّزْيينِ تعطيلٌ عن إدراكِ الحُجَّةِ والبُرْهانِ على البعثِ فعُرِضَ في صورةِ الاستفهامِ لطَرْحِه؛ تهيأةً للتَّفكُّرِ في الدَّليلِ الكونيِّ المُسْتَوْجِبِ الإيمانَ بالبعثِ وغيرِه، والذي يكونُ حُجَّةً على مَن ضَلَّ، واتَّبَعَ الشَّيطانَ، وصارَ مِن حِزْبِه؛ جاءَ بهذا الدَّليلِ في هذه الآيةِ، كما دلّتِ الآيةُ على أنَّ الإضلالَ والهدايةَ فعلُ اللهِ تعالى الَّذي يُرسِلُ الآياتِ، فتنزلُ على القلوبِ الميتةِ، فتَهْتدي بها وتحيى، فيكونُ دليلًا على النُّشورِ والهدايةِ والإضلالِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَرۡسَلَ﴾ (رسل) أصلٌ واحدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقاسٌ، يَدُلُّ عَلَى الانْبِعاثِ والامْتِدادِ، فالرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ، وناقَةٌ رَسْلَةٌ: لا تُكَلِّفُكَ سياقًا[1]، والإرْسالُ يُقالُ في الإنسانِ، وفي الأشياءِ المحبوبةِ والمكروهةِ، وقد يكونُ ذلك بالتَّسخيرِ، كإرسالِ الرِّيحِ والمطرِ، وقد يكونُ ببعثِ مَن له اختيارٌ، نحو إرْسالِ الرّسلِ، وقد يكونُ ذلك بالتَّخليةِ، وتركِ المَنعِ، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣﴾ [مريم: 83][2]، والمقصودُ بإرسالِ الرِّياحِ في الآيةِ: الإجراءُ والإطلاقُ والإسالةُ[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (رسل).
(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (رسل).
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/ 412.

2) ﴿فَتُثِيرُ﴾: (ثور) أصلٌ يدلُّ على انبعاثِ الشَّيءِ وانتشاره[1]، يُقال: ثارَ الغبارُ والسَّحابُ ونحوُهما، يَثور ثَوْرًا وثَوَرانا: انتشرَ ساطِعًا، وقد أَثَرْتُهُ[2]، وثَرَّيْتُ التُّرْبَةَ، أَي بَلَلْتها، ويُقال: التقى الثَّرَيان، وذلكَ أَنْ يَجيءَ المَطَرُ فَيرشحُ في الأَرضِ حتَّى يلتقيَ هو ونَدى الأَرضِ، وأرضٌ ثَرْيا، أَي ذاتُ نَدًى[3]، ويُقال: أثارَ الثَّورُ التُّرابَ؛ إذا بَحثَهُ بقوائمِهِ[4]، وكذلك أَثَرْتُ الأرض، والإثارةُ في الآية معناها: تَحريكُ القارِّ تحريكًا يضطربُ به عن مَوضِعِه[5].

3) ﴿فَسُقْنَاهُ﴾: أصلُ (سوق) واحدٌ، وهو حَدْوُ الشَّيءِ[6]، يُقالُ: ساقَهُ يَسوقُه سَوْقًا، والسَّوْقُ: إزجاءُ الماشي مِن ورائه، وضِدُّهُ القَوْدُ، والسَّوْقُ مُشْعِرٌ بالإزْعاجِ والإهانة[7]، والسّوْقُ: معروفةٌ؛ وسُمّيَتْ بذلك؛ لأنَّ الأشْياءَ تُساقُ إليها ومنها، وتُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ[8]، السَّيِّقُ مِنَ السَّحابِ ما طَرَدَتْهُ الرّيحُ، كانَ فيهِ ماءٌ أَو لَمْ يَكُنْ، وفي الصِّحاحِ: الَّذي تَسوقه الرّيحُ ولَيْسَ فيهِ ماءٌ[9]، فالسَّوْقُ في الآية معناه: توجيهُ الشّيءِ وتَسييرُهُ بقَصْدٍ.

4) ﴿بَلَدٍ﴾: أصل (بَلَدٌ) الصَّدْرُ، يُقالُ تبلَّدَ الرَّجُلُ؛ إذا وضعَ يدهُ على صدرِه عند تحيُّرِه في الأَمْرِ، والبلدةُ: النَّجْمُ، يقولونَ هو بَلَدةُ الأَسدِ، أي: صدرُه، والبَلَدُ صدرُ القُرى[10]، والبَلَدُ أيضًا: كلُّ موضعٍ مُتحيّزٍ منَ الأرض، عامرٍ أَوْ غيرِ عامرٍ، خالٍ أَوْ مَسكون، والطّائفةُ منه بَلْدةٌ، والجميعُ البِلاد[11]، ومعناه هنا: جانبٌ مِن مُتَّسَعٍ مِن أَرضٍ؛ عامرةً كانت كما هو الشّائعُ أَمْ غامرةً[12]، والمُرادُ به في المقام الأَوَّلِ مكَّةُ؛ حماها اللّه.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (ثور).
(2) الراغب، المفردات: (ثور).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (ثور).
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (ثور).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 121.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوق).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 241، و24/ 69.
(8) ابن عباد، المحيط في اللغة: (سوق).
(9) ابن عباد، المحيط في اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (سوق).
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بلد).
(11) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (بلد).
(12) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 346.

5) ﴿مَّيِّتٍ﴾: (موت) أصلٌ يدلُّ على ذَهابِ القوَّةِ مِنَ الشَّيءِ[1]، والمَيْتُ: بتَخْفيفِ الياءِ وتَشْديدِها: هو الَّذي فارَقَ الحَياةَ، ويَسْتَوي فيه الذَّكَرُ والأُنْثَى، يُقالُ: ماتَ يَموتُ مَوْتًا، فهو مَيِّتٌ، وجَمعُه: أمواتٌ ومَوْتَى، ومَيِّتون، ومَيْتون، ويُطلَق أيضًا على مَن في حُكْمِ الميِّتِ وليس به[2]، والبلدُ الميِّتُ في الآية مُرادٌ به: أرضٌ لا زرعَ فيها، وهي في المقام الأوَّلِ مكَّةُ؛ شرَّفَها الله تعالى.

6) ﴿فَأَحْيَيْنَا﴾: (حيّ) أصلٌ يدلُّ على خِلافِ المَوتِ[3]، والحَيُّ مِنْ كُلِّ شَيءٍ: نَقيضُ المَيِّتِ، وحَيَّ يَحْيا، فهو حَيٌّ، ومِنه الحَيَوانُ، وهو كُلُّ ذي روحٍ، ناطِقًا كان أو غَيرَ ناطِقٍ، والحيُّ مِنَ النَّباتِ: ما كانَ طَريًّا يَهتزُّ، وأرضٌ حَيَّةٌ، أيْ: مُخصِبَةٌ[4]، والمرادُ بالإحياءِ في الآية: تصرُّفٌ في المعدومِ بإيجادِه ثُمَّ إعطائِه الحياةَ، وهو مُستعارٌ لِما يُشبِهُ إحياءَ الميِّتِ[5].

7) ﴿ٱلنُّشُورُ﴾: (نشر) أصلٌ يدُلُّ على فَتحِ شَيءٍ وتَشَعُّبِه، ومنه نَشَرْتُ الكتابَ؛ خِلافَ طويتُه، ونشرَ اللهُ الموتى فنَشَروا، وأَنشَرَ اللهُ المَوْتَى أَيْضًا[6]، والنَّشْرُ: الكَلَأُ اليابسُ؛ إذا أصابَهُ مطرٌ فَيُنْشَرُ، أي: يَحْيا[7]، والنُّشور: الحَياةُ بَعْدَ المَوْتِ، يُقال: نشرَ اللهُ الميّتَ وأنشرَهُ، أي: أَحياه[8]، فالنُّشورُ معناه هنا: الإحياءُ والبعثُ بعدَ الموتِ، مِن نَشْرِ الشَّيء المَطويِّ[9].

المَعْنى الإجْماليُّ:

يُبيِّنُ الحقُّ سبحانه بعضَ مَظاهرِ قُدرتِه ورَحمتِه، مُستدلًّا على المَعادِ بإحيائِه الأرضَ بعدَ موتِها، فيقولُ: واللهُ الَّذي أرسَلَ الرِّياحَ بقُدرتِه، فتُثيرُ سَحابًا، فسُقْناه إلى بلدٍ لا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (موت).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، وابن منظور، لسان العرب: (موت).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حيَّ).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (حيي).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 12.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نشر).
(7) الراغب، المفردات: (نشر).
(8) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة: (نشر).
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 322.

نباتَ فيه، فأخصَبْنا تلك الأرضَ المُجْدِبةَ، وأنبَتْنا فيها الزَّرعَ بعدَ يَبَسِها؛ فكما أحيا اللهُ الأرضَ المَيْتةَ يُحيي الأمواتَ بعدَ فَنائِهم، فيُخرِجُهم مِن قُبورِهم أحياءً[1]، وكما يُحيي الأرضَ بعدَ موتِها يُحيي القلوبَ المُظلمةَ، فيَهديها بقُدرته وحدَه إلى الإيمانِ فلا تذهَبْ نفسُك عليهم حسَراتٍ.

قـبـولُ الأرضِ المَيِّتةِ الحياةَ اللّائقةَ بها دليلُ النُّشور

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ (الواو) في مطلع الآية:

(الواوُ) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ عاطفةٌ لِما بعدَها على جملة: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾؛ مِن عطْفِ الدّليلِ على المُسْتَدَلِّ عليه المبنيِّ على النَّظرِ؛ وهو الإخراجُ مِنَ العدَم؛ وهما متَّفقانِ خبرًا؛ لفظًا ومعنًى؛ واللهُ هو الَّذي أرسلَ الرّياح في هذه الآيةِ، وهو الذي وعْدُه حقٌّ في المعطوفِ عليه؛ فلهذا جاءَتِ الواوُ، ويحتملُ أنْ يكونَ معطوفًا على جملة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ وهما متّفقتانِ خبرًا لفظًا ومعنىً، والغرضُ إثباتُ قدرتِهِ على الإضلالِ والهدايةِ بتمثيلٍ عجيبٍ يكونُ فيه إحياءٌ للأرضِ الميّتة كالقلوبِ المظلمة، مع إثباتٍ للنُّشورِ الّذي تُنكِرُه تلك القلوبُ المزيّنُ لها سوءُ عملِها.

إثـبـاتُ البعثِ مِن أهمِّ مقاصدِ القرآنِ

بلاغةُ موقعِ الآيةِ في السياق:

جَرَى ذِكْرُ المُسْتَدَلِّ عليه والدَّليلِ؛ المُتعاطفَيْنِ بالواوِ في نَظْمِ السّورةِ على الأصلِ؛ فالمُستدَلُّ عليه سابقٌ في الذِّكْرِ على الدَّليلِ؛ ولكنَّ الظّاهرَ أنْ يَقترِنا، لكنَّ القرآنَ فصَلَ بينهما بالمَعْقِدِ الأوَّلِ مِنَ السّورةِ [مِن الآية: 4 إلى الآية: 8]؛ لأنَّ فيه الحياةَ الدّنيا التي تَغُرُّ، والشّيطانَ وعداوتَه وحزبَه وتزيينَهُم جميعًا، وكلُّ ذلك مِمّا يَصْرِف الكافرين

في تأخيرِ الدّليلِ إخـسـانٌ إليه وإلـى المُتلقّيهِ جميعًا

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 335، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 327، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 685.

عنِ الإيمان بهذا الوعد وهو النُّشور، فقدَّمه النَّظْمُ الحكيمُ؛ ليُشير إلى هذا؛ ليتنبّهوا إليه فيهتدوا؛ ذلك إذا تنبَّهوا وأنصفوا أنفسَهُم، وهذا إحسانٌ مِنَ الله إليهم؛ يَستوجِبُ الإيمانَ بهِ؛ كمظهَرٍ مِن مَظاهِرِ حَمْدِه وشُكْرِه تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: 1]، ثم جاءَ الدَّليلُ؛ وقد تهيَّأوا لتلقّيهِ؛ فيكونُ أفْعَلَ في نفوسِهِم[1].

علّةُ اصطفاءِ دليلِ الرّياح:

هـذا تعليلٌ لمجموعِ الدَّليلِ، أي هو إجماليٌّ

اختارَ القرآنُ الحكيمُ مِن دلائل الوَحدانيَّة دلالةً تجمعُ أسبابَ المطرِ فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾؛ ليُفْضيَ مِن ذلك إلى تنظيرِ إحياء الأمواتِ بعدَ أحوال الفناءِ بآثار ذلك الصُّنْع العجيب، وأنَّ الّذي خلَق وسائلَ إحياءِ الأرضِ قادرٌ على خَلْقِ وسائلَ؛ لإحياءِ الّذين ضَمِنَتْهم الأرضُ؛ على سبيل الإدماج[2]، وأنَّ الَّذي يرسلُ الرّياحَ يُرسِلُ الأنبياءَ، ويبشِّرون بالدّعوة وينذرونَ النّاس لقاءَ يوم البعث والنُّشور، حتى تصلَ تلك الدّعوةُ إلى القلوب الميِّتة فتَحيى بإذن الله وحدَه، كذلك النُّشور؛ إذِ الإنباتُ نشورٌ وإحياءُ القلوبِ بعثٌ وحياة.

علّةُ التّعبير باسْمِ الجلالةِ:

معرفةُ اللهِ هيَ مقصَدُ المقاصِدِ

عبَّر القرآنُ باسْمِ الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ لأنَّ المقامَ لإثباتِ البعثِ وما يَتْبَعُه، وإنكارُ أهلِ الكفرِ للبعثِ إنَّما هو عندَهُم صورةٌ لرفضِ التَّوحيدِ والإيمانِ والنُّبوَّةِ؛ فكانَ المقصدُ الأعظمُ مِن إثباته إثباتَ ما يُنكرونَهُ للإلهِ الحقِّ؛ واللّائقُ بذلكَ الاسْمُ الجامعُ للأسماءِ والصِّفاتِ كلِّها، المستلزمُ جميعَ معانيها، والمعنى: أنَّ الَّذي أرسلَ الرّياح هو اللّهُ الَّذي له كلُّ كمالٍ، ويَستحيلُ عليه كلُّ نقصانٍ، لا شيءٌ غيرُه مِنَ الطَّبيعةِ ولا

(1) طه السيد، نفي التسوية في الذكر الحكيم، دراسة بلاغية تحليلية: 2/ 1459.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 267.

غيرِها[1]، كما أنَّ مَدار مُنكري النُّشور من عبدةِ الأوثان يتأسّسُ على أنَّ اللّه خالقُ السَّماواتِ والأرض، لكنَّه لا يفعلُ الإحياءَ بعد الموتِ إمّا لصُعوبته عليه وإمّا لأنّه غيرُ مريدٍ لذلك، كما يستحيلُ في عقولِهم الضّعيفةِ عودةُ الرَّميم للحياةِ مجدّدًا، فذكرَ لهم الاسمَ العلَم الَّذي يعرفونَه ويعبدونَ الأوثان التي تقرّبُهم إليه؛ فكيفَ يجمعونَ بينَ معرفتِهِ خالقًا لكلِّ شيء، ويشركون به آلهةً أُخرى ثمَّ يُحيلونَ قدرتَه على ذلك الإحياء! وكيفَ لا يُصدِّقونَ بإرادته ذلك بعدَما أنبأَهم بها وحْيًا.

بلاغةُ التَّصْديرِ باسْمِ الجلالةِ مُظْهَرًا:

السّورةُ بُنيتْ على هذا التَّصْديرِ

اسْمُ الجلالة في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ مبتدأٌ، خبرُهُ الاسْمُ الموصولُ؛ وإنَّما صُدِّرَت الآيةُ به؛ لأنَّه أصلُ المُسْتدَلِّ عليهِ؛ مِنَ البعثِ وغيرِه؛ ففي ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّ ما بعدَه مِن شأنِه أنْ يُعرِّفَ بهِ تعالى؛ لا سيَّما أنَّ الدّليلَ مِمّا يُعاينونه[2]، ولو قيل: (وهو الذي أرسل الرياح) ما لاءَمَ الاحتفالَ بالدَّليلِ والتَّهيئةِ لهُ، وكانَ في الاستدلالِ نوعُ ضعفٍ؛ وإنّما الملائمُ لذلك والأبلغُ في الاستدلالِ صريحُ اسْمِ الجلالةِ؛ على أنَّ اختلافَ السّياقِ الجزئيِّ يُحسِّنُ التَّصريحَ به.

علّةُ التّعبيرِ بالموصول:

لا ينزلُ المطرُ ولا تجري الرّياحُ إلّا بأمر الله وحدَه

جعَل القرآنُ خبرَ اسمِ الجلالة اسمًا موصولًا في قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ لفْتًا إلى عظمةِ الدّليلِ وشرَفِه وفخامتِه وقوَّته؛ مِن جهةِ تمكُّنِ المُخاطَبينَ المقصودينَ به منهُ؛ وإنْ كانَ مِمّا يُعاينُه كلُّ النّاسِ؛ لأنَّ الأصلَ أنْ تكونَ صلةُ الموصولِ معلومةً للمُتلقّينَ، ونلحظُ في الإسناد تعريفَ الطَّرفينِ لإفادةِ الحصر، ردًّا على مَن

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 207.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 440.

يزعُمُ أنَّ إرسالَ الرّياح ونزولَ المطر يحدثُ بقضيّةٍ طبيعيَّةٍ، لا تفتقرُ إلى السّبب التّامِّ الموجِدِ لها.

علّةُ التّعبيرِ بالإرسال:

لو عُبِّر بغيرِ الإرسالِ ضاعَ المعنى البيانيُّ الذي يكونُ معَه رونقُ البلاغةِ

عبَّر القرآنُ بـ(الإرسالِ) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ تنبيهًا على الامتنانِ المُدمَج مع الاستدلالِ؛ فهو إرسالُ رحمةٍ؛ يجلبُ الخيرَ للنّاسِ جميعًا وغيرِهم مِنَ الحيواناتِ والدَّوابِّ؛ فإنَّ الرَّسْلَ انبعاثٌ فيه تُؤَدَةٌ وسُهولةٌ ورِفْقٌ، وإرسالُ الرّيحِ يكونُ بالتَّسْخيرِ؛ وهو مِمّا يفتحُه اللهُ للنّاسِ مِن رحمةٍ، ومِنَ النِّعَمِ التي أُمِرَ النّاسُ أنْ يذكروها؛ ليشكروها في مطلعِ السّورةِ، بقي أنَّ لفظ (الإرسال) يدلُّ على أنَّها موجودةٌ في مكانٍ قد قُيِّدتْ به، ثمَّ تُؤمَرُ بالتّحرُّك إلى مكانٍ آخر، فتكون هنالك استعارةٌ تصريحيّةٌ تبعيّةٌ؛ إذ شبَّه الجريانَ والتحرُّك بالإرسالِ بجامعِ المجئِ إلى مكانٍ غيرِ المكانِ الذي كانت فيه؛ للدّلالةِ على أنَّها مأمورةٌ لا تتحرّكُ بذاتها، بل تجري على وفقِ نواميسَ حدَّدها القادرُ الحكيمُ تعالى.

دلالةُ مجيء ﴿أَرۡسَلَ﴾ في فاطر ماضيًا، وفي الروم مضارعًا:

التَّعبيرُ بالماضي على خلاف الظّاهر

لَمّا كانتِ السّورة قد تجرَّدَتْ للتَّعريفِ بفاطرِ السّماوات والأرض؛ دلالةً على القدرة بالاختيارِ، فكانَ المرادُ الإيجادَ مِنَ العدم، وكان إرسالُ الرّياحِ دالًّا على ذلك؛ نظَمَ القرآنُ معنَى الإرسالِ فعلًا ماضيًا مسنَدًا إلى ضميرِ اسمِ الجلالةِ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ لأنَّهُ تعالى الفاعلُ الحقيقيُّ، والمعنَى: أوجدَها مِنَ العدمِ مُضطَرِبةً؛ فيها أهليَّةُ الاضطرابِ والسَّيْرِ؛ ليُصَرِّفَها كيفَ شاءَ، لا ثابتةً كالأرض، وأسكنَها ما بينَ الخافقَيْنِ؛ لصلاحِ مكانِ الأرض، ولَمّا أُسنِد فعلُ الإرسال إلى اللهِ جيءَ بلفظ الماضي؛ لوجوب وقوعِه وسرعةِ كونه؛ كأنَّه كانَ؛ فهو قدَّر الإرسالَ في الأوقات المعلومة وإلى المواضع المُعيَّنة، ولأنّ القَصْدَ مِنَ الاستدلالِ وقوعُ الإحياء وتقرُّرُ

وقوعِه؛ إظهارًا لإمكانِ نظيره، وإنَّما نظَم القرآنُ معنَى الإرسالِ فعلًا مضارعًا في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: 48] الآية؛ لأنَّ المقصودَ هناكَ الاستدلالُ على تجديدِ صُنْعِ اللهِ ونعمِه[1].

بلاغةُ التَّعريفِ بـ(أل):

الـرّيـاحُ جِـنْسٌ مِـنَ المخلوقاتِ مستقِلٌّ

(أل) في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾، و: (الرّيح) على القراءتيْنِ المُتواترتيْن: للعَهْدِ الذِّهْنيِّ؛ إشارةً إلى عِلْمِ المُتلقّينَ بها وبأثرِها؛ إذ كان اعتمادُ العربِ أوَّلَ مَن نزَل عليه القرآنُ مِن أُمَّةِ الدَّعْوةِ على الماءِ في بيئتِهم الصَّحْراويَّةِ، ويُفْهَمُ مِن كلامِ ابن عاشورٍ إمكانُ حَمْلِ (أل) على التَّعْريفِ بالجِنْسِ؛ أي: جِنْسِ الرِّياحِ، وجِنْسِ الرّيحِ[2]، وهذا الوجهُ أدلُّ على ما تجرَّدتْ له السّورةُ؛ مِن تعريفِ العبادِ على الاختراعِ والخَلْقِ، والاستدلالُ على إثباتِ البَعْثِ عليه أقوى وأعظمُ، ولمّا تعلّق الإرسالُ بالرّياحِ أفادَ أنَّ هذا الجنسَ المتحقّقَ في أفراده لا يجري أيُّ فردٍ منه إلّا بأمرِه وحدَه، وذلك دليلُ العظمةِ والاقتدارِ التّامّ.

التَّوْجيهُ البلاغيُّ لقراءتَي الجمع والإفراد في: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾:

قـــراءةُ الإفـــرادِ مبنيَّةٌ على قراءةِ الجَمْعِ

﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قرأها بالإفرادِ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ وأبو جعفر: ﴿ٱلرِّيحَ﴾، وقرأَها الباقونَ بالجَمْعِ[3]، وفي الجَمْعِ دلالةٌ على عظيمِ التَّفاوُتِ بينَ أفرادِها؛ نظرًا إلى تعدُّدِ أشكالِ الرّياحِ المُرسَلةِ وأنواعِها الكثيرة؛ لأنَّ الرّياحَ جَمْعُ كثرةٍ؛ فيكونُ في الجَمْعِ دلالةٌ على أنَّه تعالى الفاعلُ القادرُ بالاختيارِ، وأمّا قراءةُ الإفرادِ فتشيرُ إلى أنَّ اقتدارَه تعالى على إرسالِ الرّياحِ التي هي جَمْعُ كثرةٍ كاقتدارِه على إرسالِ ريحٍ واحدةٍ، وما دامَ أنَّ (أل) فيه للجنسِ فإنَّ المرادَ جنسُ الرّيحِ من غيرِ دلالةٍ على قلّةٍ ولا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 206، والآلوسي، روح المعاني: 22/ 171، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 267 - 268.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 269.

(3) الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 463.

كثرة، والجنسُ إنَّما يتحقّقُ في أفراده، فيفيدُ الكلَّ التزامًا، ونجدُ أنَّ بينَ الرّياحِ والرُّسلِ علاقةً؛ فكلٌّ منهما مُرسَلٌ لوظيفةٍ، إذ وظيفةُ الرّياح إثارةُ السَّحاب ووظيفةُ الرُّسُل إثارةُ الأفكارِ والمعاني الحقَّة.

معنَى (الفاءِ) ودلالةُ التّعبيرِ بها:

عـمليّةُ ثَـوَرانِ السَّحابِ تكونُ عَـقِـبَ إرسـالِ الرّياحِ

(الفاءُ) في قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ معناها السَّببيَّةُ والتّعقيب، أي: إنَّ إثارةَ السَّحابِ مُرتَّبٌ ومُسبَّبٌ عن إرسالِ الرّياحِ؛ مِن غيرِ مهلةٍ؛ وهذا يدلُّ على تفاعُلِ المخلوقاتِ، وكمالِ انقيادِها للّه سبحانه؛ لأنَّه خالقُها، كما أنَّ الرُّسُل عقيبَ بعثِهم وإرسالِهم يُثيرونَ في النّاس معانيَ كانت خامدةً، فتعملُ على تجميعِها وترتيبِها وتنظيمِها في عقولِهم الخاليةِ من تلك المَضامين.

علّةُ التّعبير بالإثارة:

إثـارةُ السَّحابِ مِـمّـا يـأخُـذُ النَّفْسَ والعقلَ

جعَلَ القرآنُ المُسبَّبَ عن إرسالِ الرّياح ثَوْرَ السَّحابِ أوْ ثَورانَه أو إثارتَه؛ وهو انتشارُه معَ سُطوعِه؛ فقال تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، وفيه دلالةٌ على قوَّةِ الاستدلالِ؛ بظهورِ المُسبَّبِ بقوَّةٍ؛ وفيه تصويرُ حالِ السَّحابِ كما هو في الواقعِ مِنَ الاضطرابِ؛ معَ ما فيهِ مِن مزيَّة الإيجازِ البديعِ، وفي صنيعِ الأنبياءِ والرُّسُل تسطَعُ أنوارُ الرِّسالة في ربوعِ الحياة، وتدبُّ فيها المعاني العميقةُ للحياة المنظَّمة المُستقيمة.

بلاغةُ المجازِ العقليِّ في: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾:

الفاعلُ الحقيقيُّ هو اللهُ

أسندَ القرآنُ ثوارنَ السَّحابِ أوْ ثَوْرَها إلى ضميرِ الرّياحِ أوِ الرّيح على القراءتيْن؛ لأنَّ المسندَ إليهِ السَّببُ، فهو مجازٌ عقليٌّ علاقتُهُ السّببيَّةُ، إذ ما يحدُثُ في الكون يَجري على نواميسَ وسُنن، ولكنَّ الفاعل الحقيقيَّ هو اللّه تعالى دونَ السُّنَنِ والقوانين؛ وهذا أدلُّ على تصوير عمليَّة إنزالِ المطرِ بدءًا مِن إرسالِ الرّياحِ؛ ولو أسندَ القرآنُ ذلك إلى ضمير اسمِ الجلالة فاتَ ذلك[1].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 206.

دلالةُ المضارَعة في ﴿فَتُثِيرُ﴾:

إثـارةُ الـرّيـاحِ السَّحابَ شيءٌ عجيبٌ

لمّا كان قولُه تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ مبنيًّا على قوله تعالى: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ كانَ التَّعبيرُ بالمضارعِ (تثير) على خلافِ الظّاهرِ الذي هو (أثارت)؛ وإلّا فالإرسالُ مُتجدِّدٌ، فالثَّوَرانُ مُتجدِّدٌ، وفي المضارعِ (تثير) حكايةٌ للحالِ التي تقَع فيها إثارةُ الرّياحِ السَّحابَ، واستحضارٌ لتلك الصّورةِ البديعةِ الدّالَّةِ على القدرةِ الرَّبّانيَّة وتمامِها؛ وهكذا تفعلُ العربُ فيما فيه غَرابةٌ؛ تنبيهًا للمُتلقّي على ذلك، وحثًّا له على تدبُّرِه وتصوُّرِه، ولمّا كان المرادُ الاستدلالَ على القدرةِ على البعث، وكان التّعبيرُ بالمضارعِ يَرُدُّ التَّعنُّتَ عُبِّر بالمضارع، ولأنَّ الإثارةَ خاصّيَّةٌ للرّياح، وأثَرٌ لا ينفكُّ في العادةِ عنها؛ فلا يوجَدُ إلّا بعدَ إيجادِها، فيكونُ مُستقبلًا بالنِّسبة إلى الإرسالِ، وعلى هذا يكونُ استعمالُ المضارعِ على ظاهرِه وحقيقتِه مِن غير تأويلٍ؛ لأنَّ المُعتبَر زمانُ الحُكْم لا زمانُ التَّكلُّم، ولمّا أُسنِد فعلُ الإثارةِ إلى الرّياح، وهي تؤلّفُ في زمان قال تعالى (تثير) بلفظ المستقبل، ولذلك أُسْنِدَ إليها، وفيه على كلٍّ دلالةٌ على استمرارِ الإثارةِ وتَكرارِها أيضًا[1].

سِرُّ تنْكيرِ السَّحاب:

السَّـحـابُ قد يـكـونُ مـصـدرَ إنعامٍ جليلٍ على النّاسِ

نظَمَه القرآنُ الكريم (السحاب) في قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ نكرةً؛ إشارةً إلى معنَى العَظَمةِ فيه؛ نظرًا إلى الماءِ الذي يَحْمِلُه؛ وهذا مِن مواضعِ الامتنانِ في الاستدلالِ في هذهِ الآيةِ، كما أنَّ مضامينَ الوحي والنُّبوَّة تُشبِهُ السَّحابَ المحمَّلَ بالخير العميم للبشريَّة، وتجري تلك المضامينُ بينَ الشُّعوبِ والأُمَم، وتنتقلُ داخلَ القلوبِ والعقول، وإنَّما جمعَ ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ لتعدُّد الرُّسُلِ، وأفردَ ﴿سَحَابًا﴾ لاتِّحاد الرِّسالةِ والمضمونِ.

(1) الزمخشري، الكشاف: 12/ 613، والبقاعي، نظم الدرر: 6/ 207، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 467، والآلوسي، روح المعاني: 22/ 171، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 267 - 268.

معنَى (الفاء) ودلالةُ التَّعبير بها:

سبحانَ المتُفضِّلِ على مخلوقاتِهِ

(الفاءُ) في قوله تعالى: ﴿فَسُقْنَاهُ﴾ عاطفةٌ لِما بعدَها على ما بعدَ الفاءِ في قولِه تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ على جهةِ التَّسبُّبِ والتَّرتُّبِ مِن غيرِ مهلةٍ؛ فيلزمُ منه ترتُّبُهُ وتسبُّبُه عن إرسالِ الرِّياحِ أيضًا؛ ومجموعُ ما سبَق سببٌ في هذا السَّوقِ، وهذا السَّوْقُ مُترتِّبٌ عليهِ؛ وفي (الفاء) تصويرٌ لامتنانِه تعالى على المخلوقينَ، وما ينتفعُ بالماءِ مِن غيرِهم مِنَ المخلوقات بجَعْلِ السَّوقِ عَقِبَ إثارةِ السَّحابِ مِن غيرِ مهلةٍ، وكذلك يستعقبُ إثارةُ المعاني الحقَّة في نفوسِ النّاس أنْ يَسوقَها اللّه إلى القلوبِ الَّتي تنتفعُ بها، ويَصرِفُها عنِ القلوبِ الغافلة عنها؛ لأنَّها عَميَتْ بصائرُها واستكبرتْ عليها، فحُرِمَتْ مِن منافعِها وخيرِها.

علّةُ التّعبير بالسَّوْقِ ماضيًا:

إنَّما يسوقُ اللهُ الخيرَ إلى النّاسِ

عبَّر القرآنُ الحكيمُ بـ(السَّوْقِ) في قولِه تعالَى: ﴿فَسُقْنَاهُ﴾؛ إشعارًا بغزارةِ هذا الماءِ الّذي يَحْمِلُه السَّحابُ؛ تنبيهًا على إنعامِه تعالى بالمَطَرِ؛ لأنَّ السَّوقَ استُعملَ في سَوْقِ الإبلِ والدَّوابِّ؛ وفيهِ أيضًا إشعارٌ بالاعتناءِ بالمطرِ؛ صورةً للاعتناءِ بمَن يَنتفعُ بالماءِ في المقامِ الأوَّلِ، وما يَنتفعُ به مِنَ المخلوقاتِ، ونظَمَ القرآنُ معنَى السَّوْقِ فِعْلًا ماضيًا تنبيهًا على أنَّ كلَّ سَوْقٍ كانَ بعدَ إثارةِ الرّياحِ السَّحابَ في الماضي والمستقبل منه وحده أو بواسطة من أقامة لذلك من جنده من الملائكة أو غيرهم، لا من غيره[1]، ففي وضْعِ الماضي موضعَ المضارعِ بأنْ يُقال: (فنسوقه)؛ إذ هو معطوفٌ على مضارعٍ في (تثير) إبلاغٌ في تقريرِ وقوعِ السَّقْيِ؛ كأنَّه قد كانَ؛ إشعارًا بعظيمِ الامتنانِ.

دلالةُ الالتفات في ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾:

فـي الالـتـفـاتِ تنبيهٌ للمُكذِّبينَ؛ ليَـلـتـفِـتـوا إلى عظمةِ اللهِ

لَمّا كانَ سَوْقُ السَّحابِ إلى بلدٍ دونَ آخَرَ، وسَقْيُه لمكانٍ دونَ مكانٍ مِنَ العظمةِ بمكانٍ التفَتَ القرآنُ عنِ الغَيْبة، وجعَلَه في مَظْهَرِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 207.

العَظَمَةِ؛ فأضافَ السَّقْيَ إلى ضميرِ العظمة؛ فقال: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ﴾، أي: فكان السَّوْقُ منه وحدَه، أوْ بواسطةِ مَن أقامَه لذلك مِن جندِه مِنَ الملائكة أوْ غيرِهم، لا مِن غيرِه[1]، معَ ما في الانتقالِ مِنَ الغَيْبة إلى التَّكلُّم مِن تنشيطِ المُتلقّينَ، وإيقاظِهم؛ للإصغاءِ إلى البيانِ، وهذا أحْسَنُ مِن إجراءِ الكلامِ على أسلوبٍ واحدٍ؛ وهذه فائدةٌ عامَّةٌ للالتفاتِ.

دلالةُ التَّعبير بـ﴿إِلَىٰ﴾:

إنّما يَعظُم الاستدلالُ في النَّفسِ بدَمْجِ الامتنانِ معَه

عَدَّى القرآنُ فِعْلَ السَّقْيَ بـ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾؛ وهو حرفُ انتهاءِ الغايةِ في الزّمانِ والمكانِ وغيرِهما؛ وهو أصلُ معانيها؛ فدلَّ التَّعبيرُ بها على أنَّ كلَّ بلدٍ ميِّتٍ غايةٌ للسَّقْي المذكورِ، يستوي في هذا البعيدُ والقريبُ؛ وهذا وجهٌ مِن وجوهِ الإنعامِ والامتنانِ[2].

علّةُ التّعبيرِ بالبلدِ:

البلدُ مكانٌ كلُّه أهلٌ للسَّكَنِ

جعَلَ القرآنُ المَسْقيَّ (البلدَ) في قوله تعالى: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾؛ إشارةً إلى أنَّ سقيَها مقصودٌ به سَقْيُ مَن يقطنونَه، والّذين هم في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى الماءِ؛ لأنَّهُم تبلَّدوا في المكانِ الذي هُم فيه، وتوطَّنوا فيه على جهةِ اللُّزوم؛ فالبلدُ المكانُ المختطُّ المحدودُ المُتأنِّسُ باجتماعِ قُطّانه وإقامتِهم فيه[3]، كما أنَّ بينَ البلد والقلب مناسبةً عميقة؛ إذِ البلدُ يتوطّنُ فيه النّاسُ، فيحتاجون إلى الماءِ لاستمرارِ الحياة فيها، والقلبُ تتوطّنُ فيه الأفكارُ والمفاهيمُ فتحتاجُ إلى أنوارِ الهداية الإلهيَّة لتعيشَ وتستقيمَ.

سِرُّ تنكيرِ ﴿بَلَدٍ﴾:

في التّنكيرِ تكثيرٌ مع هوانٍ وضَعفٍ

نظَم القرآنُ غايةَ السَّقْي نكِرةً، فقال: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾؛ للدّلالةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 207.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 207.
(3) الراغب، المفردات: (بلد).

على التَّكْثيرِ؛ بقرينة التَّعبيرِ بـ﴿إِلَىٰ﴾؛ إشارةً إلى عُمومِ الامتنانِ والإحسانِ؛ فهو سبحانه يَزيدُ في الخَلْقِ ما يشاءُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ويجوز أنْ يدلَّ التّنكيرُ على ضعْفِ هذه البلدِ وهوانِها؛ بقرينةِ الوصفِ: ﴿مَّيِّتٍ﴾، وكذلك القلوبُ فإنَّها مع كثرتها ضعيفةٌ قبلَ وصولِ أنوارِ الهدايةِ إليها.

دلالةُ الاستعارةِ في لفظ ﴿بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾:

البلدُ الميِّتُ شديدُ الافتقارِ إلى الماءِ

وَصَفَ القرآنُ البلدَ بقولِه: ﴿مَّيِّتٍ﴾، والمعنى: الذي لا نَبْتَ فيه، قد اغْبَرَّ مِنَ القَحْطِ، وهذا الوصفُ استعارةٌ لمعنَى اليُبْسِ[1]، بجامعِ شدّة عدمِ النَّفْعِ؛ لأنَّ البلدَ في معنَى الأرضِ؛ وهي تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ؛ والغرضُ منها: بيانُ شِدّة افتقارِ البلدِ إلى الماءِ، وأنَّ الاقتدارَ على إحيائِها عظيمٌ؛ فهوَ إنَّما يكونُ مِن ذي قدرةٍ تامّةٍ كاملةٍ مطلقةٍ وسيعةٍ؛ يتعلَّقُ بها كلُّ شيءٍ؛ وبهذا يظهرُ الاستدلالُ والامتنانُ معًا، وكذلك يُقال في الموتِ في قوله تعالى: ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أي: بعدَ يُبْسِها، ويحتملُ أنَّ الكلام قائمٌ على استعارة مكنيّةٍ؛ إذ شبّه البلدَ بإنسانٍ يقومُ به الموتُ، ثمَّ حذفه وأبقى من خواصّهِ ولوازمِه الموتَ فوصفَهُ به، وكذلك القلبُ فإنّه قبل وصول أنوارِ الوحي إليه لا ينبضُ بالحياة الطيّبةِ الهانئةِ في ظلِّ تعاليمِ اللّه وإرشاداتِه العظيمة، أوِ المرادُ بالبلد أهلُها العِطاشُ المحتاجونَ للماء، حتى إنَّهم من شدَّة عطَشِهم وُصِفَ البلدُ بالميّت مبالغةً، مع أنَّ المَوتى أهلُها وسكّانها؛ فهو مجازٌ عقليٌّ.

التّوجيهُ البلاغيُّ لقراءتَي: ﴿مَّيِّتٍ﴾:

كـلُّ مُـكـوِّنـاتِ المعنَى القرآنيِّ ذاتُ معنًى

قرأَ الوصفَ ﴿مَّيِّتٍ﴾ الواردَ في قوله: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بتشديدِ الياءِ نافعٌ وحفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ وأبو جعفرَ وخلَفٌ، وقرأَه الباقونَ بالتَّخْفيفِ: ﴿مَّيْتٍ﴾، وهما بمعنًى واحدٍ في المشهورِ،

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 431، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 467.

وقال بعضُهم: الميْتُ بالتَّخفيفِ هو الَّذي ماتَ فِعلًا، والميِّتُ بالتّشديد والمائِتُ هو الّذي لم يَمُتْ بَعْدُ[1]، ولّما كانَ الموتُ في الوَصْفِ بمعنَى عدمِ الإنباتِ والزَّرْعِ، وكانَ عدمُ تهيُّؤِ الأرضِ أوِ البلدِ للإنباتِ والزَّرْعِ ليس على درجةٍ واحدةٍ؛ بل بينَ ما يصدقُ عليه البلدُ مرادًا به الأرضُ تفاوتٌ قويٌّ ملحوظٌ نبَّه القرآنُ على ما تحقَّقَ فيه أصلُ معنَى الوصفِ بقراءةِ التّخفيفِ، وعلى ما قويَ فيه معنَى الوصفِ واشتدَّ بقراءةِ التّشديدِ؛ فهما طرَفانِ أعلى وأدنى؛ يدلّانِ على درجاتٍ أخرى بينهما؛ فكان مجموعُ القراءتيْنِ دالًّا على القدرةِ الكاملةِ للّه تعالى، ومُعرِّفًا العبادَ بالاختراعِ والخَلْقِ، وأنَّه الفاطِرُ.

معنَى (الفاء) ودلالةُ التّعبيرِ بها:

سُبحانَ مَن يُعلِّمُ عبادَه الحِكْمةَ والتَّدريجَ!

(الفاءُ) في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ معناها السَّببيَّةُ، أي: إنَّ إحياءَ الأرضِ مُسبَّبٌ ومُرتَّبٌ على سَقْيِ السّحابِ في قوله تعالى ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾، وإذا كان معطوفًا على هذا كانَ معطوفًا في المعنَى على جميعِ ما قبلَه؛ من إرسالِ الرّياحِ إلى السَّقْيِ المذكورِ؛ فالإحياءُ نِتاجُ عمليَّةٍ بُنِيَتْ على التَّدْريجِ؛ دلالةً على حِكْمتِه تعالى، وأنَّه فاعلٌ قادرٌ بالاختيارِ، وإنْ كان البلدُ الميتُ والأرضُ المُجدبة تَحيا بالماءِ النّازلِ منَ السُّحبِ فإنَّ القلوبَ المُظلمةَ والنُّفوسَ العَطْشى إلى أنوارِ الوَحْيِ تُضيئُ بكلماتِ النّورِ، وتهتدي للحقِّ وتتفتّحُ للحياة المباركة، وتسعَدُ في دروبِ النّجاة.

علّةُ التّعبيرِ بـ(الإحياء):

سُبحانَ مَن يُحيي النُّفوسَ بكلامِه ومائِه!

عبَّر القرآنُ بـ(الإحياءِ) في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾؛ لأنَّه نَصٌّ في المُسْتَدَلِّ عليهِ؛ وهو إحياءُ النّاسِ الموتَى، والمعنى: أنَّ البلدَ لا نَبْتَ فيه؛ فإذا أصابَه الماءُ منَ السَّحابِ اخْضَرَّ، وأنْبَتَ؛ فتلكَ حياتُهُ،

(1) الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 463، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 467، والآلوسي، روح المعاني: 22/ 171 - 172.

ففيهِ مِنَ الإيجازِ ما لا يخفَى؛ لأنَّ تفصيلَ الإحياءِ يُطيلُ الكلامَ؛ وهو معلومٌ للمُتلقّينَ[1]، وفي التّركيبِ استعارةٌ تصريحيّةٌ تبعيّةٌ؛ إذ شبّه الإنباتَ بالإحياءِ بجامعِ الوجودِ بعدَ عدمٍ، فلم يقلِ النّظمُ: (فأنبتنا)، بل عبَّر عنه بـ(الإحياء)؛ لأنّه بصددِ إثباتِ النُّشورِ والحياةِ بعدَ الموت، وبصددِ إثباتِ أنَّ أنوارَ النّبوَّةِ والرّسالةِ تُساقُ بقدرةِ اللّه وحدَه بعدَ تبليغِ الرّسولِ لها إلى القلوبِ المُتعطّشةِ الضّامئةِ، فتُسقى منها فتَحيا بعدَ إظلامٍ، ويكونُ الإحياءُ حينئذٍ مُستعارًا للهداية.

دلالةُ المُضيِّ في ﴿فَأَحْيَيْنَا﴾:

المَقيسُ عليه تأكّدُ وقوعُهُ؛ فكذلك المَقيسُ

نظَم القرآنُ معنَى (الإحياءِ) فِعْلًا ماضيًا في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ مُشاكِلًا نَظْمَ السَّقْيِ في قوله: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾، ونَظْمَ الإرسالِ في قوله: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ مفيدًا التَّرابُطَ بينَ عناصرِ المعنَى في الآيةِ؛ لأنَّ الإحياءَ المذكورَ هو المقيسُ عليه، ولا بُدَّ أنْ يكونَ واقِعًا مُحَقَّقًا مُقرَّرًا[2].

علّةُ الإسنادِ إلى ضميرِ العَظَمة:

التّنبيهُ على عَظَمةِ الإحياءِ تحريكٌ للنّظرِ

لَمّا كانَ إحياءُ الأرضِ المَيِّتةِ على تفاوُتِ مَوتِها بمعنى عدمِ صَلوحِها للإنباتِ والزَّرْعِ لا يكونُ إلّا بقدرةٍ تامَّةٍ وعِلْمٍ شاملٍ، فكانَ مِنَ العظمةِ بمكانٍ؛ أسنَد القرآنُ الإحياءَ إلى ضميرِ العَظَمةِ؛ فقال تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾؛ وهذا إنَّما يكونُ منه تعالى وحدَهُ، أي بدونِ واسطةٍ، وهذا الإسنادُ منبئٌ عنِ اختصاصِ الإحياءِ به تعالى، وكذلك السَّقيُ في قوله تعالى: ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾؛ لِما فيهما مِن مزيدِ الصُّنْعِ، ولتكميلِ المُماثَلةِ بين إحياءِ الأرضِ وبينَ البعثِ الذي شُبِّه به قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[3].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 431.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 467.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 467.

معنَى (الباء) ودلالةُ التّعبير بها:

في الباء عظمةُ الدّليلِ والنِّعْمة

(الباءُ) في قوله تعالى: ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ معناها السَّببيَّةُ؛ فالسَّحابُ أوِ الماءُ سببٌ، وإحياءُ الأرضِ مُسبَّبٌ، وهي لا تخلو من معنَى (الإلصاقِ)؛ فتدلُّ على قوّة السَّببيَّةِ والسَّببِ وشِدَّتِهما، وهذا يوحي لا محالةَ بغزارةِ الماءِ، وعِظَمِ الإحياءِ ونتيجتِه مِن كثرةِ الزُّروعِ والثِّمارِ، وتنوُّعِها، وتعدُّدِها، وفي إشارةِ النَّظم إلى سببيَّة الماءِ للإحياءِ دلالةٌ على مكانةِ السَّببِ في النَّهج القرآنيّ، وبيانٌ لأثرِ الرّسُل الذين تصلُ الهدايةُ منَ اللّه للقلوبِ المُظلمة بسببِهم ووساطتِهم.

مَرْجِعُ الضَّميرِ المجرور في: ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ﴾:

عناصرُ الكونِ تتفاعلُ في إبرازِ ألوهيَّةِ اللهِ القادر

الضَّميرُ المجرورُ محلًّا بـ(الباءِ) في قوله تعالى: ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ يُرادُ به السَّحابُ في قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾؛ كالضّمير في قوله تعالى: ﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾؛ فمرجِعُهُما واحدٌ؛ لكنَّ رجوعَه هنا إلى السَّحابِ إنَّما هو على تأويلِ أنَّ السّببَ في الحياةِ هو السّحابُ بما ينشأُ عنه مِنَ الماءِ، والمعنى: فأحيينا بالسَّحاب الأرضَ؛ فإنَّهُ سببُ السَّببِ، ويمكنُ أنْ يكونَ الضّميرُ للمطرِ على طريقة (الاستخدام) البديعيّ، والمعنى: فأحيينا بالمطر النّازلِ منه المدلولِ عليه بالسَّحابِ؛ فإنَّ بينهما تلازُمًا في الذِّهْنِ كما في الخارجِ[1]، والأبلغُ رجوعُه على السَّحابِ بالتَّأويلِ المذكورِ؛ لأنَّ فيهِ إبلاغًا في استحضارِ دَوْرِ السَّحابِ في عمليَّة الإحياءِ، وربطًا في ظاهرِ اللَّفْظِ بينَ السَّحابِ والأرضِ؛ تنبيهًا على عظمةِ الإحياءِ، وأنَّه لا يَقْدِرُ عليهِ إلّا واحدٌ ليس كمِثْلِه شيءٌ؛ وهو اللّهُ تعالى، ويؤيِّدُ ذلك أنَّ القرآنَ لو قال: (فأحيينا الأرض) لصَحَّ على الجملةِ؛ للعِلْمِ بسببِ الإحياءِ مِنَ المعطوفِ عليه، فلَمّا صرَّح القرآنُ به كان الأعلى حَمْلَ الضّميرِ على السّحابِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 207، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 467.

بلاغةُ التّعريفِ بـ(أل) والإفرادِ:

الأبلغُ سياقًا الحَمْلُ على الجِنْسِ

(أل) في قوله تعالى: ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ إمّا للعهْدِ الذِّهْنيِّ؛ وهي الأرضُ التي يعيشُ عليها النّاسُ في ذلك البلد، وإمّا للجِنْسِ؛ وهذا هو الأعلى؛ لأنَّه يترتَّبُ عليه اللَّفْتُ إلى تفاوتِ أفرادِ هذا الجِنْسِ في الوصفِ ﴿مَّيِّتٍ﴾؛ وهذا التَّفاوتُ يدلُّ على أنَّ الله هو الفاعلُ القادرُ بالاختيارِ، وإنّما عبّر أوّلًا بـ(البلد) عندَ سَوْقِ السَّحاب، ثمَّ عبّر بالأرض عند الإحياء؛ للدِّلالة على أنّ سوْقَ السَّحاب يكونُ إلى البلد منظورًا فيه إلى السُّكّان الحالّينَ فيها، وأمّا الإحياءُ فهو لأرضِ البلد التي أجدَبَتْ، وحياةُ الأرض حياةٌ للبلد والسكّان الّذين فيه، وكذلك سوقُ الهداية إلى النّفوس منظورٌ فيه إلى القلوب، وإحياءُ القلوبِ وهدايتُها سببٌ لإحياءِ النّفوس والأبدانِ التي تحلُّ فيها تلك النّفوسُ والأرواح.

سِرُّ ذِكْرِ الموتِ في ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾:

لـلأرضِ مـوتٌ وحياةٌ كالإنسانِ

كانَ مِنَ المُمكن أنْ يقول القرآنُ: (فأحيينا به الأرض) دون ذكر المتعلِّق: ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾؛ لأنَّه معلومٌ مِن قوله تعالى: ﴿بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾؛ ولكنَّ القرآنَ صرَّحَ به؛ إبلاغًا في تقريرِ الدَّليل؛ لأنَّ هذهِ الجملةَ التي صُرِّحَ فيها بالمذكورِ مقطعُ بيانِ هذا الدّليل، ولأنَّ مِنَ البلاغةِ أنْ يُقْرَنَ الإحياءُ بالإماتةِ في سياقِ الإرشاد إلى القدرة على البعثِ الذي يُكذِّبُ به القومُ الكافرون؛ ففي ذكر الموتِ تحقيقٌ للإحياءِ، وأنَّه حقيقيٌّ[1]، بقي أنَّ بينَ ﴿فَأَحۡيَيۡنَا﴾ و﴿مَوۡتِهَاۚ﴾ طباقًا يرسُمُ شدّةَ الإحياء وعظمتَه؛ فإنّ الأرضَ قد ماتتْ حتى لا يُظنَّ أنَّ بالإمكان إنباتَها، وهنا تتجلّى عظمةُ الإحياء الإلهيّ الّذي يجعل الميّتَ مُنتصبًا، وكذلك القلوبُ التي ماتتْ من طولِ العَهد بالنّبوَّة والرّسالة، وتحوَّلتْ قيمُها إلى معتقداتٍ باليةٍ وأفكارٍ سقيمة، حتى إنَّه لا يُظنُّ اهتداؤها لأنوارِ الحقِّ والحقيقةِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 207.

دلالةُ الإضافة في ﴿مَوۡتِهَاۚ﴾:

الإضـافـةُ تـوهِـمُ حقيقةَ المـوتِ؛ والحقُّ أنَّـه استـعـارةٌ للِيُئْسِ!

أضافَ النَّظْمُ القرآنيُّ الموتَ إلى ضميرِ ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ المؤنَّثةِ في قوله تعالى: ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾؛ إمعانًا في تجلية الاستدلالِ؛ بما فيها مِن إفادةِ ثبوتِ الموت للأرضِ على جهة الاتِّصافِ والاخْتِصاصِ واللُّزوم، وفي إسنادِ الموت إلى الأرض استعارةٌ مكنيّةٌ ظاهرة، إذِ الموتُ عبارةٌ عن عدم الحياة عمّا مِن شأنِه أنْ يكون حيًّا.

سِرُّ فَصْلِ خاتمة الآية ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾:

الدَّليلُ مؤصِّلٌ للمطلوبِ بِقوَّةٍ

الظّاهرُ أنْ يُعطف قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ بـ(الواو) على مجموع قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ لِما بينَهما منَ التّناسُب؛ وإنَّما غابتِ (الواوُ)؛ للتَّنْبيهِ على قوّة إنتاجِ ما حقُّه أنْ يكونَ معطوفًا عليه على ما حقُّه أنْ يكون معطوفًا؛ فمَن عقِلَ صِلةَ الموصولِ مِن إرسال الرّياح وما عُطِف عليه صدَّق دعوَى البعثِ وغيرِه بقوّةٍ وسُرعةٍ؛ مِن غير واسطةٍ؛ فلم يعُقْه عائقٌ، ولم يحُل بينَه وبينَ ذلك حائلٌ.

دلالة الكاف في قوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

مـا أسـهـلَ الـوصـولَ مِـن إحياءِ الأرضِ إلى إحياءِ المَوْتى!

(الكافُ) في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ في حيِّزِ الرَّفْعِ على الخبريَّةِ، أي: مِثْلُ ذلك الإحياءِ الّذي تُشاهدونه على سبيل الاستمرار إحياءُ الأمواتِ وبعثُهم للحِساب، ومعناها التَّشابُهُ؛ وهو الجمعُ بين شيئَيْنِ في أمرٍ مِنَ الأمور؛ مِن غير قصدٍ إلى زيادةٍ ونقصانٍ؛ وُجِدت الزّيادةُ أوْ لم توجَدْ؛ فالقصدُ حينئذٍ هو بيانُ مُجرَّدِ اتِّفاقِ الطَّرفيْنِ في وجهِ الشَّبه؛ دونَ خُصوصيّاتٍ فيه؛ كأنْ تُراعَى فيه زيادةٌ ونقصانٌ، أوْ ظهورٌ وخفاءٌ؛ فالمرادُ هنا إثباتُ التَّشابُهِ في مُجرَّدِ وقوعِ الإحياءِ، والمعنى: كذلك النّشورُ في صِحَّةِ المَقْدوريَّةِ وسهولةِ التَّأتّي مِن غير تفاوتٍ بينَهما أصلًا[1].

(1) السعد التفتازاني، المطول، ص: 335، ومحمود موسى حمدان، أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، ص: 207، 233، 256، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 467.

مَرْجِعُ اسمِ الإشارة:

الأعـلى سياقًا كـونُ المُشَبَّهِ مجموعَ الدَّليلِ

الإشارةُ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ إنَّما هي إلى المذكور مِن قوله تعالى: ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾، والأظهرُ أنْ تكون الإشارةُ إلى مجموعِ الحالةِ المُصوَّرة، أي: مِثْل ذلك الصُّنْع المُحْكَم المُتْقَن نصنعُ صُنْعًا يكونُ به النُّشورُ؛ بأنْ يُهيِّئ الله حوادثَ سماويَّةً أوْ أرضيَّةً أوْ مجموعةً منهما، حتَّى إذا استقامَتْ آثارُها وتهيّأتْ أجسامٌ لقَبولِ أرواحِها أمَر الله بالنَّفْخةِ الأولى والثّانية؛ فإذا الأجسادُ قائمةٌ ماثلةٌ؛ أمَرَ الله بنفخِ الأرواح بالأجِنَّة عندَ استكمالِ تهيئتِها لقَبول الأرواحِ[1].

نكتةُ الإشارةِ للبعيدِ:

مِن شأنِ الدَّليلِ المذكورِ أنْ يكونَ مقيسًا عليه

اسْمُ الإشارةِ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ مرادٌ به الإحياءُ المصدرُ المستفادُ مِن قوله تعالى: ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾؛ وهو للمفرد البعيد؛ والبُعْدُ فيه تعظيمٌ للإحياءِ، أي: كَشْفٌ عن عظمتِه في بابِ الاستدلالِ؛ فهو دليلٌ مقيسٌ عليه واضحٌ جليٌّ لا خلافَ في ثبوتِه ووقوعِه.

علّةُ التّعبير بـ﴿ٱلنُّشُورُ﴾:

القـادر على إحياء كلِّ ميِّتٍ قادرٌ على النشر والبعث

عبَّر تعالى بـ﴿ٱلنُّشُورُ﴾ مُشبَّهًا في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾؛ مأخوذًا مِن: نَشَرَ الثَّوبَ؛ بسَطَهُ؛ على جهة الاستعارة[2] دونَ معنَى البَعْث، أوْ إحياءِ الموتى؛ إشعارًا بقوةِ الاستدلالِ بإحياءِ الأرضِ على المطلوبِ، وبعظيمِ اقتدارِ الله تعالى على الإحياءِ المقيسِ؛ لأنَّ نَشْرَ العبادِ يكونُ بعد إحيائِهم، ولأنَّ النَّشْرَ ألصقُ بحالِ المشبَّه بهِ المقيسِ عليه؛ فإنَّ النَّشْرَ مِن معانيه الكلأُ اليابسُ؛ إذا أصابَه مطرٌ؛ فيُنْشَر، أي: يحيا[3]، ونلحظ أنَّ ﴿ٱلنُّشُورُ﴾ المستدلَّ على وقوعِه بإحياء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 268.
(2) الراغب، المفردات: (نشر).
(3) الراغب، المفردات: (نشر).

الأرضِ وإنباتِ النَّبات يقومُ على دليلٍ مادّيٍّ ملموس، وهنالك دليلٌ عقليٌّ ومعنويٌّ على النّشور أيضًا، وهو أنَّ القلوبَ الميّتةَ والنُّفوسَ التّائهةَ في أوحالِ الشّركِ وأوهامِ المعتقداتِ الباطلة، تعودُ للحياة بعدَ اختيار الله تعالى لها الهدايةَ والخير، وبذَينِك يجتمعُ الدّليلانِ الحسّيُّ والمعنويُّ على تحقُّق وعدِ الله بالبعث والنُّشور والحساب يومَ الدّين، كما تتحقّقُ تهدئةُ نفسِ الرّسول ﷺ ببيانِ أنّ واجبَه التّبليغُ، وأمّا الإحياءُ بالهداية فهو أمرٌ راجعٌ إلى قدرة الله تعالى، الذي يُضِلُّ مَن يشاء ويَهدي إلى الخير مَن يشاء.

بلاغةُ التّعريف بـ(أل) في ﴿ٱلنُّشُورُ﴾:

(أل) في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ يُراد بها معنى الجنسِ؛ لفْتًا إلى الأفرادِ المنشورينَ، وتذكيرًا بأحوالهم المختلفةِ؛ ترهيبًا؛ بتصوير موقفِ احتشادِهم، ودلالةً على عظيم قدرة الله تعالى على ذلك، ويُفهَمُ من كونِ حقيقة ﴿ٱلنُّشُورُ﴾ كذلك أنَّ عمليّة النُّشور تشبهُ عمليّةَ الإنبات وبثِّ الحياة في الأرضِ الميّتة التي لا يظنُّ أهلُها أنّها تعود مجدَّدًا لتورقَ بالحياة، لكنَّها بالنّسبة لمَن خلق السَّماواتِ والأرضَ أمرٌ هيّنٌ، فهل هنالك من مُتعجِّبٍ في عمليّةِ الإعادة والبعث للإنسان، وهل هنالك من متعجِّبٍ في هدايةِ الله لمَن يشاءُ، وبثِّ النّور في القلوبِ الميّتةِ الضّالّةِ بعدَ طولِ عهدٍ بالنّبوّات والرِّسالات.

حَمْلُ (أل) على الجِنْسِ يلمّحُ إلى أنَّه مُؤسَّسٌ على التّدريج كإحياءِ الأرضِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البعث والنَّشْر:

بعثُ الخَلْق اسمٌ لإخراجهم مِن قبورِهم إلى الموقفِ؛ ومنه قولُه تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: 52]، والنُّشورُ: اسْمٌ لظهور المَبعوثينَ وظهورِ أعمالِهم للخلائق؛ ومنه قولُك: نشرتُ اسمَك، ونشرتُ فضيلةَ فلان، والبعثُ هو الإحياءُ ودبُّ الرّوح في البدنِ الميّت، والنّشرُ عمليّةُ التّركيبِ للأعضاء؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا

البعثُ اتّصالُ الرّوح بالجسدِ والنّشرُ تركيبُ الأعضاء

فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾ [البقرة: 259]؛ فالبعث إحياءٌ مجمَلٌ يتضمَّن النّشر، والنّشرُ بعثٌ مفصّلٌ ببيان ترتيبِ الأجسام، والبعثُ يتعلّقُ بالأروح والتصاقِها بالأجساد الميّتة، والنّشرُ يتعلّقُ بالأعضاء ترتُّبًا، والمناسبُ لسياقِ الآيةِ النّشرُ.

والآيةُ الكريمة فيها إثباتٌ للنّشور الذي يُكذِّبُ به المشركون، وإثباتٌ لمدلول قوله ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ﴾؛ فإنْ تفرّعَ قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ﴾ عن قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾؛ فإنَّ هذه الآية تتفرّعُ عن قوله: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ﴾، فضربَ المثلَ في كيفيّةِ وصولِ الهدايةِ إلى قلوبِ المُؤمنين، الّذي هو أمرٌ خارجٌ عن طاقةِ الرّسول، المكلّفِ بالتبليغ فحسبُ، الّذي يتولّى الهدايةَ هو اللّه تعالى وحدَه، وإن كان وجودُ الرّيح سببًا للسَّوق إلى البلد الميِّت، ووجودُ الرّسول سببًا لسَوْقِ الهداية إلى الأرواحِ المُظلمة، وبهذا تكون الآيةُ بكمالها استعارةً تمثيليّةً بتشبيه حالةٍ منتزَعةٍ من متعدّد بهيئةٍ أخرى، أعني تشبيهَ هدايةِ اللّه بعمليَّة النُّشور التي لا يقدرُ أحدٌ على إيجادِها.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»